اللغة العربية في كيرالا: رحلة تاريخية عبر القرون

د . صغيرعلي ت ب[1]

مقدمة

تتمتع اللغة العربية بتاريخ عريق في ولاية كيرالا الهندية، حيث تمتد جذور هذه العلاقة إلى قرون خلت، ويعود ذلك بشكل أساسي إلى الروابط التجارية والثقافية والدينية الوثيقة التي ربطت بين سواحل كيرالا، المعروفة قديماً باسم مليبار، وشبه الجزيرة العربية. فُتحت أبواب التواصل بين كيرالا والعالم العربي منذ القدم من خلال تجارة التوابل والبخور والمنسوجات وغيرها من السلع الثمينة. وفّر هذا التبادل التجاري فرصةً لتعلّم اللغة العربية من قبل سكّان كيرالا، حيث أدركوا أهميتها في تسهيل التواصل مع تجار العرب وإدارة الأعمال التجارية بفعالية. بدأت العلاقة منذ عهد سليمان بن داود نبي الله عليه السلام، وكان قصره وبلاده من إصدارات الهند كما سجل التاريخ. وكذلك الحديد لداود عليه السلام كان قد أرسل من الهند، وإن العلاقات التجارية بين العرب والهند، خاصةً العلاقات التجارية بين منطقة مليبار سجلت في ثنايا نصوص الشعر العربي الجاهلي. وسيف الهند والفلفل والساج كل ذلك كان مشهوراً عند العرب. والشاعر المشهور في العصر الجاهلي امرؤ القيس يدل في معلقته على أحسن دليل لهذه العلاقة التجارية مع العرب، يتفاعل أهالي ولاية كيرلا باللغة العربية وآدابها منذ زمان، والعرب وثقافتهم قد أصحت معروفة ومنتشرة في حياة سكان كيرالا بشكل آخر، ولكن ما نمت العلاقة الادبية بين كيرالا والعرب قوية كما هو الأمر بالنسبة العلاقة الثقافية بينهما، كما أن ظهور الإسلام في مطلع القرن السابع الميلادي هو الآخر سبباً تكثفت به مسيرة اللغة في هذه المنطقة. والمساجد العشرة التي أسّسها السيد مالك بن حبيب والمشار إليها في "تحفة المجاهدين"[2] لمؤشر صادق إلى انتشار اللغة في ربوعها وإسهامها في تكوين المناخ الثقافي والحضاري بكيرالا. إن دراسة العربية وتدريسها بدأت بصورة منتظمة منذ تلك الأيام. ويضاف إلى هذا أن المقابر الموجودة في قرية "نلا موتم" (Nilamuttam) الواقعة في مقاطعة كانور (kanoor)، كُتبت أسماء الوفيات عليها بأحرف غير منقوطة. وهذا إن دلّ على شيئ فإنه يدل على انتشار العربية في ربوع كيرالا قبل الستينات الهجرية. لأن تجديد الحروف العربية وتطويرها قد تمّ على يد نصر بن عاصم بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي. وبما أن العربية ضرورية لتلاوة القرآن ودراسته، كان من المفروض أن المسلمين أقبلوا عليها وتحمسوا فيها، ولهذا لا تزال اللغة العربية تحتفظ بمكانتها المرموقة في كيرالا، حيث تُدرّس في العديد من المدارس والجامعات، كما تُستخدم في وسائل الإعلام والخطب الدينية والفعاليات الثقافية. ويحرص العديد من مسلمي كيرالا على تعليم أبنائهم اللغة العربية، إيمانًا منهم بأهميتها الدينية والثقافية.

المعاهد العربية القديمة:

وهناك كثير من الأدلة التاريخية على أن كيرلا كانت لها علاقة عميقة بالعرب منذ قديم الزمان، ونتيجة هذا الاحتكاك والتبادل اللغوي أخذ الناس يتعلمون هذه اللغة الحبيبة على الطرق الرسمية وغير الرسمية، وجدير بالذكر الدور الذي لعبتها مجموعة من العلماء من الأسر المختلفة والمجالات المتنوعة كقضاة كاليكوت وأسرة المخاديم الفنانيين، خلال هذه الفترة، تحولت دراسة اللغة العربية من أهمية تجارية إلى أهمية دينية. وصار تعليم اللغة العربية ضرورة دينية. وأخذت علماء الدين يعلمون مبادئ الإسلام لهؤلاء المسلمين الجدد. وكانت تعليم اللغة العربية ضروري لتلاوة القرآن الكريم وفهم الأذكار اللازمة في أركان الصلاة والأدعية. وتفكر الأمة عن تشكيل نظام جديد لتربية أبنائهم على القواليب الدينية. وكانت المساجد الملجأ الأول لتعليم مبادئ الإسلام. واستهلوا الكتاتيب والحلقات الدراسية في المساجد، وسميت هذه بالمدرسة المسجدية، وترعرعت هذه الحلقات حتى أصبحت مراكز كبيرة للتعليم الديني. ثم صارت هذه المساجد مراكز علوم الدين ودراسة اللغة العربية. وفي هذا النظام يتركز التعليم على أستاذ معين، والطلبة يسكنون في المسجد وأستاذ واحد يقوم بتدريس جميع منهج التعليمي الذي يضم القرآن والتفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة. وعلوم اللغة تحتوي الصرف والنحو والمعاني والبديع وغيرها، ففي اللغة يدرَّس كتاب الميزان في الصرف ثم كتاب الأجناس الصغرى ثم الأجناس الكبرى ثم التصريف العزي المعروف بزنجان ثم كتاب العوامل ثم تقويم اللسان ثم التحفة الوردية ثم قطر الندى وهكذا حتى ألفية ابن مالك رحمه الله

الدروس المسجدية

لما جاء مالك بن دينار وأصحابه في هذه المناطق مستهدفين القيام بالدعوة الإسلامية بنوا في كيرلا مساجد كثيرة كمسجد كاسركوت (kasargod) ومادای (Madahayi) وشاليم (chaliyam) وكدنكلور(kodugallor) وكولم (Kollam)

وغيرها، وكانت هذه المساجد وغيرها قد لعبت دورا رياديا في إثراء اللغة العربية ونشرها وتعليمها، ومن أقدم المساجد التي أقيم فيها الدرس المسجد التوتُّنْكلي[3] في مدينة فنان الذي بناه الشيخ القطب فريد الدين بن الشيخ عز الدين الأجودهني الهندي المتوفى سنة 666[4] هـ، ومسجد ساحل البركة الكبرى[5] في مدينة تانور وفيه مكتبة تضم مئات المخطوطات للكتب القديمة وأقدم مخطوط فيه كتاب التنبيه في الفقه الشافعي للشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزابادي الشيرازي، قد كُتب في واجهة المخطوط: وُقف هذا الكتاب سنة 675هـ وواقفه محمد بن عبد الله الحضرمي الشافعي مذهبا والقادري مشربا والأزهري تعلما، وكتب تحته: قد كتبه الفقير محمد بن عبد الله الحضرمي حين كان مدرسا ومفتيا في مسجد ساحل البركة الكبرى بتانور، وكانت الدروس أيضا جارية في مسجد شاليم ومسجد المُتْشوندي ومسجد كُوتي شِرا في مدينة كاليكوت ثم بعدها انتشرت هذه الدروس في أكثر المساجد في بلاد كيرلا. وكان مئات الطلبة يأتون إلى تلك المساجد ويتعلمون العلم من الأستاذ المعين، وكان قيامهم في المسجد نفسه وأما طعامهم فكان من بيوت سكان المدينة التي يقع فيها المسجد، وأما المنهج التعليمي فكان يضم كتب الفقه والتفسير والحديث وعلوم اللغة العربية من الصرف والنحو والمعاني والبديع وغيرها، وبعضها ازدهرت وارتفعت إلى ذروة الشهرة مثل 'مسجد فنان' في بقعة مليبار، وبوجود هذا المسجد، اشتهرت فنان بلقب 'مكة مليبار'. قدموا الطلبة متوجهون إليها من مختلف نواحي قارة آسيا.

ظهور الأسرة المخدومية[6] ودورهم في تطوير العربية:

كان لأسرة المخاديم دور رئيسي في نشر الإسلام واللغة العربية والعلوم الإسلامية في كيرلا، وهذه الأسرة ينتمى نسبهم إلى الشيخ أحمد المعبري المخدوم الذي جاء إلى كيرلا من معبر الواقع جنوب قاهرفطن من ولاية تملنادو الهندية تجاه شري لنكا وإن العربية قويت وتطورت كثيراً مع ظهور الأسرة المخدومية في خارطة كيرالا الثقافية . وإليهم يرجع الفضل في تكثيف حركة التعليم الديني في الولاية وتنظيمه وإيجاد الفرص للتحقيق في العلوم الدينية ، كما أن زعماءها كانوا في طليعة مَن كافح وحارب رجالَ الاستعمار الذين بثوا نفوذهم آنذاك بين البلاد والعباد . وصلت هذه الأسرة إلى كيرالا من "معبر" في تامل نادو، وكان أولهم وصولا السيد زين الدين إبراهم بن أحمد المعبري الذي نزل في مدينة كوشن ، ثم انتقل إلى فوناني . وقد أنجبت هذه الأسرة زعماء وعلماء أجلاء من أمثال السيد زين الدين المخدوم الأول (1467 – 1522)، وهو ابن أخيه المذكور. تلقى العلوم في الحديث والفقه من الشيخ شهاب الدين بن عثمان بمكة المكرمة، ثم التحق بجامعة الأزهر، ولعله كان هو الأول من أبناء مليبار ممن درس في جامعة الأزهر. وأساتذته آنذاك في الأزهر من العلماء العباقرة المشهورين. وفي هذه الفترة تحمست فيه الأفكار التربوية والتعليمية، وتأسيس المدارس الدينية في فوناني، جاء تتويجاً لهذه الأفكار. وما إن تخرج من الأزهر حتى قفل عائداً إلى فوناني وقام بمبادرته التعليمية، كما بدأ حياته التعلمية والتأليفية مشتغلاً بالإفادة والاستفادة، وقد كتب الكثير في التصّوف والفقه الإسلامي، وقصيدته "تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان" ذات 173 بيتاً، نداء للمسلمين ليتحركوا ضد احتلال البرتقال وإنقاذ البلاد من براثنهم. وقصيدة أخرى "هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء" تحتوي على وصايا ونصائح تمس القلوب وتملأها إيماناً وإخلاصاً. ومن مؤلفاته : مرشد الطلاب، وسراج القلوب، والسراج المنير، والمسعد في ذكر الموت، وشمس الهدى، وتحفة الأحبة، وإرشاد القاصدين، وشعب الإيمان، وتسهيل القافية، وشرح الألفية، وقصص الأنبياء، وشرح تحفة الوردية، والسيرة النبوية. وكتاب شعب الإيمان ترجمته من الأصل الفارسي.

ومن هذه السلالة عبد العزيز المخدوم، (1508 – 1586) وهو ابن زيد الدين المخدوم الأول . كان أيضاً رجلاً عبقرياً، وخلفاً صالحاً لوالده، إذ قام بدوره في كتابة الشروح لمعظم كتبه، إلى جانب مؤلفاته المستقلة، ومنها : باب معرفة الصغرى والكبرى، وإرشاد الألباء، وقصيدة الأقسام، وشرح ألفية بن مالك، وأركان الإيمان، ومرقاة القلوب، والمتفرد، ومسلك الأتقياء. وأما العالم الأكثر شهرةً وسمعةً في هذه الأسرة وهو الشيخ زين الدين المخدوم الثاني حفيد زين الدين الأول. قدم خدمات جليلةً للأمة المسلمة والعلوم العربية، وسعى إلى نشر العلوم دراسةً وتدريساً وتأليفا. وبعد الدراسة الابتدائية قصد مكة المكرمة وأقام بها عشر سنوات ليتلقى العلوم من جهابذة علمائها. ومن أساتذته هناك الشيخ ابن حجر الهيتمي أبرز علماء الشافعية. وبعد أن وصل إلى كيرالا شرع في كتابة المقررات للدراسة الدينية وجعل لها منهجاً مؤثراً ونظاماً متقناً ، مما جعل طلبة العلم من كل قاصية ودانية يقصدون فوناني للتحصيل العلمي . وعمله الرائع " تحفة المجاهدين " يبقى نموذجاً فذاً للتأليف العربي الأصيل، كما أنه هو الأول والأبرز الذي يسلط الضوء على تاريخ كيرالا القديم. تمت ترجمته إلى خمس وثلاثين لغة في العالم. والكتاب يجسد مسيرة كيرالا التاريخية الممتدة 85 عاماً بدءًا من 1498 وحتى 1583. وفيه دراسة مفصلة عن تاريخ ظهور الإسلام في مليبار، والعادات المنتشرة في المجتمع الهندوكي،

والأعمال الوحشية التي قام بها الجنود البرتقال، وضرورية الاصطفاف لمقاومتهم. ولا يزال يبقى مرجعاً فريداً لمن يشتغل بالدراسات الاجتماعية عن كيرالا القديمة . وكتاب فتح المعين، هو الآخر شهرة من بين مؤلفاته، تناوله بعض العلماء العرب دراسةً وشرحاً، ومنهم الشيخ علي بن السيد أحمد السقاف اليمني وكتابه ترشيح المستفيدين. والشيخ أبو بكر البكري صاحب كتاب إعانة الطالبين. وفي كيرالا كتب الشيخ علي بن عبد الرحمن (كونجوتي مسليار) كتابه "تنشيط المطالعين" شرحاً له في العربية. وللشيخ زين الدين المخدوم، بجانب هذا، كتب أخرى في العربية ذات القيمة العلمية مثل: - "مختصر شرح الصدور، الأجوبة العجيبة عن المسألة الغريبة، المنهج الواضح، الفتاوى الهندية، الجواهر في عقوبة أهل الكبائر، أحكام إحكام النكاح، إرشاد العباد"، وقد أعد " إرشاد العباد " شرحاً وإيضاحاً للكتابين: الزواجر لابن حجر الهيتمي، ومرشد الطلاب لجده زين الدين المخدوم الأول . أما " الأجوبة العجيبة " وهو الفتاوى الدينية التي أفتى بها في مختلف المناسبات.

والشيخ عثمان بن جمال الدين المعبرى (1504 – 1583) تلميذ وزوج ابنة المخدوم الأول عالم آخر في هذه الأسرة المباركة، وقد كتب شرحاً عربياً لكتاب قطر الندى في علوم النحو. ومن الجدير بالذكر أن علماء المخدومية ساهموا كثيراً في إعداد الموسوعة الطبية (Hortus Malabaricus) ومعناه رياض مليبار، تولى تدوينه الحاكم الهولندي هنرك وان ريد (Hendrik Van Rheede)ويحتوي على دراسة 742 نباتاً دوائياً من الأعشاب الموجودة في غابات مليبار وكرناتكا، استغرقت أعمال الجمع والتحقيق ثلاثين سنةً ليصدر الكتاب في 12 مجلداً في آمستردام عام 1678. وقد أدرجت فيه أسماء النباتات في اللغات: اللاتينية والمليالمية والعربية وديواناكري. والأسماء العربية فيه كانت من مساهمات المخاديم. ومن هذا القبيل كتب الشيخ إبراهيم مسليار (1871 – 1951) في العربية كتاب "مختزن المفردات الطبية" الذي قام الدكتور محمد يوسف الندوي موخرا بدراسته وتحقيقه، وعالم آخر عاش فترة الاحتلال البرتقالي هو القاضي محمد الكالكوتي 1616 – 1572) (وقد عاش عمره بقلمه السيال وقلبه الفياض مربياً الأجيال ومتحدياً الأعداء. ونفخ روح التفاني في الشعوب في قصيدته الجليلة "الفتح المبين" وناداهم للوقوف أمام تيارات البرتغال دفاعاً عن الوطن. كما أنه قام بدوره في التأليف العربيئ، ومن كتبه: "الدرة الفصيحة، القصيدة في نصيحة الإخوان، منظومة في علم الحساب، ملتقط الفرائض، مقاصد النكاح، منظومة في تجويد القرآن، مدخل الجنان، منظومة في علم الأفلاك والنجوم، منظومة في الرسائل والخطوط.

وهذه نبذة يسيرة من خدمات أسرة المخاديم في مجال تعليم اللغة العربية ونشرها والتأليف في مختلف علومها، وأما شروحهم لألفية ابن مالك وتحفة ابن الوردي متداولة في الدروس المسجدية طول كيرالا حتى إلى يومنا وقد لعبت تلك الشروح دورا هاما في تعليم لغة الضاد وفي ترسيخ قواعد اللغة في قلوب الطالبين والطالبات،

المرحلة الثانية لتطور اللغة العربية في كيرالا

وتستهل المرحلة الثانية لتطور اللغة العربية في كيرالا مع القرن التاسع عشر الميلادي. ويطلع علينا في هذه المرحلة السيد جفري المتوفي عام 1222هـ، صاحب المؤلفات العربية : كنز البراهين، الكواكب الذرية، والإرشادات الجفرية . والعالم الملباري الأكثر صيتاً والأحسن بلاءً في مقاومة الاحتلال هو القاضي عمر (1177 – 1273). وكان ممن وقف في طليعة الكفاح والنضال في حركة الاستقلال ومقاومة الإنجليز. وصب عليهم جام غضبه في كتبه وخُطبه، وأبصر الناس بمكايد

الإنجليز لتفتيت الوحدة الشعبية في البلاد. وفي خلال ذلك خدم اللغة بتآليفه العربية التي أكثرها منظومة، ومنها :نفائس الدرر، لاح الإله، صلى الإله، مقاصد النكاح، كتاب الذبح والاصطياد.

والسيد مامبورم علوي تنغل هو الآخر ممن له جولات وصولات في الكفاحات والكتابة العربية . وكتابه "السيف البتار على من يوالي الكفار" يجسد أفكاره الوهاجة ضد الإنجليز المحتلين. وكذلك نجله السيد فضل تنغل، وقف وقفات حاسمة ضد الغطرسة الإنجليزية، وقاد حركة المقاومة الشعبية تكاتف فيها المسلمون وغيرهم . وكتابه "عدة الأمراء والحكام لإهانة الكفرة وعبدة الأصنام" يجسد شخصيته وعقليته الغيور، ويوحي إلى المواطن الصادق الحماسة وروح الإقدام. وتمثل مقاومة هذه الفترة مرحلة متميزة من مراحل الكفاح ضد الإنجليز . ومن مؤلفاته: حُلل الإحسان في تزيين الإنسان، وأساسُ الإسلام ببيان الأحكام، ورسالة المسلم العالي لإدراك المعالي. وحين حاول الإنجليز نفيه سافر إلى عمان ومنها إلى تركيا حيث أكرمه السلطان عبد الحميد الثاني وتولى منصب المستشار الرئيس.

أعلام القرن العشرين

وما إن استهل القرن العشرين حتى تبوأت العربية مكاناً متميزاً في الأوساط الاجتماعية في كيرالا. وظهرت زمرة طيبة من العلماء القادرين في التأليف بالعربية. كما شهدت هذه الفترة بواكير الإصلاح الديني والاجتماعي الذي كانت المساجد والمدارس أبرز منابره. والسيد جاللكات كونج أحمد حاجي المولود عام 1866 شخصية ملحوظة آنذاك . وهو الذي قام بدوره في إصلاح المجال التربوي، ومقره وازكاد (Vazhakkad) حيث أسس مدرسة تنمية العلوم عام 1906، وهي التي تحولت فيما بعد إلى كلية دار العلوم العربية. وبدأ الإصلاح تهب رياحه على اللغة العربية فزادتها روعةً ورونقاً. والشيخ بجانب هذه النشاطات كان مولعاً بالتأليف. ومن كتبه : حاشية على رسالة المارديني، ورسالة الحساب، رسالة دعوة القبلة. كما أنه حرر بعض المقررات العربية للمدارس الدينية. والشيخ وكام عبد القادر المولوي هو الأكثر بروزاً في مجال الإصلاح الديني والتربوي. وقد أصدر المجلات ذات المقالات العلمية والدعوية القيمة بهدف إصلاح المسلمين، كما أنه سعى إلى نشر العربية في المراحل المدرسية، وقد قدم تقريراً بهذا الخصوص إلى ملك ترفدانكور، وعلى أساسه انعقد عام 1913 مؤتمر لزعماء المسلمين للبحث عن إمكانات دراسة العربية . وبموجب اتفاق المؤتمر قامت الحكومة بتوظيف السيد سري راما سامي آيار (Sri Rama Swamy Ayyar) لاتخاذ الإجراءات اللازمة لتعليم الأولاد المسلمين، ولجذبهم إلى المدارس العامة، وفي نفس العام بدأت العربية تدرّس في المدارس الابتدائية وتم تعيين أساتذتها. والسيد وكام عبد القادر هو بالذات تولى مهمة تحرير المقررات الدراسية العربية وتدريب الأساتذة، مما جعل كيرالا الأكثرَ اهتماماً بالعربية والأحسنَ نظاماً لتدريسها قياساً لسائر الولايات الهندية. وقد نشرت مجلة المنار الصادرة من مصر عدداً من مقالات الشيخ عبد القادر في العربية.

الشيخ أبو الصباح أحمد علي خريج الأزهر ومؤسس كلية روضة العلوم العربية، وبتأسيسها شهدت كيرالا قفزات سريعة في مجال التعليم والإصلاح الاجتماعي، وقد سانده في مهماته كبار القادات والزعماء في الولاية . وانبثقت من روضة العلوم فيما بعد عدد من المؤسسات التعليمية والتربوية والمهنية مما تزدان به اليوم ربوة كلية الفاروق . وقد كان الشيخ أبو الصباح يكتب المقالات العربية في مجلات المرشد والاتحاد. ومن هؤلاء الشيخ كي . أم . مولوي والشيخ عز الدين مولوي

ممن صدر لهم المقالات العربية في مختلف المجلات العربية، وكذلك الشيخ بري كوتي مسليار الذي كتب المقالات العربية ونشرها في صحيفة أم القرى الصادرة من مكة المكرمة. ومن أبرز أبناء كيرالا في هذه الأيام الشيخ محي الدين الآلوائي. وهو العالم الملباري الأكثر إنتاجاً في العربية ، وقد قام بدور الأديب والأستاذ والصحفي والإذاعي والمترجم في وقت واحد. وتركت بصماته واضحة جلية في كل المجالات. ومن مؤلفاته العربية : الأدب الهندي المعاصر ، وحاضر الإسلام والمسلمين، ومنهاج الدعوة، ومن خصائص الدعوة الإسلامية، والإسلام وتطورات العالم، وعناصر الخلود في الدعوة الإسلامية، والإسلام وقضايا الإنسانية، والنبوّة المحمدية ونقديات المستشرقين، وأعلام الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية، ومنهاج المعلمين لتعليم العربية. وقد نالت هذه الأعمال تقدير العالم العربي وإعجابهم. وجامعة أزهر العلوم في آلواي تقوم ناطقةً بفضله ورمزاً لامعاً لشخصيته.

ويأتي في هذه القائمة اسم السيد عبد الرحمن الأزهري (تنغل) الذي تخرج من الأزهر بعد دراساته في جامعة ولور ودار العلوم ديوبند. ومن مؤلفاته: أبو نواس وحياته، التصوف الإسلامي، وتاريخ النحو وتطوره، من نوابغ علماء مليبار، ومن أعماله البارعة: العرب والعربية. والشيخ كيباتا بيران كوتي مسليار تلميذ الشيخ كي . أم . مولوي كاتب مشهور في العربية، وقد كتب: الورقات، وماذا وظيفة الفقهاء، ورسالة التنبيه، والبراهين، وكلها ذات طابع علمي رصين في لغة الضاد. والشيخ أحمد كويا الشالياتي المتوفي عام 1954 صاحب مؤلفات كثيرة في العربية، ذات التنوع الموضوعي والتعدد المعرفي، ومنها: خير الأدلة في هدي استقبال القبلة، وتحقيق المقال في مبحث الاستقبال، والمقال الحاوي في رد الفتاوى والدعاوي، وإتحاف الدليل في رد التجهيل، والسير الحثيث لتخريج أربعين الحديث، والبيان الموثوق، وإفادة المستعيد بإعادة المستفيد، أسماء المؤلفين في ديار مليبار، والعوائد الدينية في تلخيص الفوائد المدنية، والشرح اللطيف والبيان المنيف، وكشف الصادر لنظم عوامل الشيخ عبد القاهر الجرجاني. وقد خدم مفتياً أيام ملوك النظامية بحيدرآباد . وكان متضلعاً كذلك من العلوم العقلية مثل الكيمياء والفلك. والمكتبة الأزهرية الموجودة في شاليام مزدانة بمؤلفاته. والشيخ علي عالي مسليار (1853 (1952 – أستاذ المذكور وأحد أبرز المكافحين في ثورة الاستقلال، كان في طليعة علماء العربية في هذه الفترة ، وهو بجانب صموده أمام الإنجليز كان متحمساً في التدريس والتأليف العربي، ومن كتبه: حاشية تحفة الإخوان في علم البلاغة، وشرح التحفة الوردية في النحو . وكان الشيخ والاكولام عبد الباري مسليار المتوفي عام 1965 أحد المساهمين في هذه المرحلة. ومن مؤلفاته العربية: صحاح الشيخين، وجمع الباري، والمتفرد في الفقه، والصراط المستقيم، والوسيلة العظمى.

والشيخ تانور عبد الرحمن (1904)، العالم البارز من ذوي النفوذ في المجالات الاجتماعية والروحية كان له قدرة تأليفية متميزة في العربية. ومن عطائه التأليفي: إسعاد العباد في ذكر الموت والمعاد، وعوارف المعارف، والإفاضة القدسية، وأسرار المحققين في معرفة رب العالمين، وشرح بسيط على كتاب الخفة المرسلة في علم الحقائق. وفي هذا المضمار يجدر الإشارة إلى شخصية السيد إسماعيل شهاب الدين (2012 – 1936) الذي كان شديد الحرص على نشر العربية، وبذل كل جهوده في مجال التدريس والتأليف. وعمله الرائع " على هامش التفاسير " عمل قيم في التأليف العربي بكيرالا، أكمله في سبع مجلدات بعد أن عكف على العمل تسع سنوات، وهو المؤلف الأول بكيرالا ممن كتب تفسيراً في العربية. ومؤخراً تم

إصداره من قبل وزارة الشؤون الدينية بقطر . وبجانب هذا التفسير كتب : المرقاة في عقيدة المسلم، وأدب المسلم في منهج الإسلام، وصفوة الكلام في عقيدة الإسلام، والنبراس، والمدارج.

والشيخ فوكوتور محمد الباقوي هو الآخر ممن له جهود طيبة في التأليف العربي. وقد أتحف المجتمع الإسلامي بالمؤلفات في مختلف المواضيع ويربو عددها على 71 مؤلفاً ما بين صغير وكبير. وأبرزها: زميل القارئ في حل ألفاظ البخاري، والنسب والماهرة، والأضحية والعقيقة، وإعراب الإعراب، مداح النبي، وبلاغ السلام، ونجوم القرآن، وقواعد الخط، ودرر الصرف، ودراسة الألفاظ اللغوية . والشيخ عبد الرحمن مسليار المعرف بـ: كودامبوزا باوا مسليار، المولود عام 1946 عالم مطبوع على العربية، وكان ولا يزال يبذل جهوده الطيبة لإثراء المكتبة العربية بتأليفه، ومن أهم أعماله: عقيدة المهام، والأجساد العجيبة والأبدان الغريبة، وبستان السبعة، وإبراهيم بن أدهم – حياته وسيرته ، وينابيع الغنى، ورزق الأصفياء، وجنان الأدب، وسفينة الصحراء. والعلامة الراحل نلي كوت محمد على مسليار معروف بين علماء العربية بمساهماته الفريدة التي تهدف إلى إحياء التراث العلمي والثقافي . وكتابه القيم "تحفة الأخيار في تاريخ علماء مليبار" يحتوي على تراجم الأعلام البارزين في كيرالا البالغ عددهم 1800 أو يزيد. والعلامة الدكتور حمزة عبد الله المليباري شخصية متميزة بتحصيله العلمي وتحقيقه المعرفي وتأليفه العربي، ليس فقط في كيرالا ، بل وأكثر من ذلك العالم العربي كله يعترف بفضله ودوره في تحرير وتنقيح علوم الحديث. وهو من مواليد كانور، وحالياً يعمل مدرساً في كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية بدبي، وقد تخرج من جامعة الأزهر وأخذ الدكتوراه من جامعة أم القرى، وركز دراساته وبحوثه في علوم الحديث. ومؤلفاته فيها صارت من المقررات الدراسية في جامعات الأردن وبغداد. ومن أبرز أعماله: ما هكذا تورد يا سعد الإبل، والموازنة بين المتقدمين والمتأخرين في تصحيح الأحاديث وتضعيفها، والحديث المعلول – قواعد وضوابط، ونظرات جديدة في علوم الحديث، وكيف يدرس علم تخريج الأحاديث، وعبقرية الإمام مسلم في ترتيب أحاديث الصحيح. ومن العلماء الأجلاء الذين لهم سمعة وشهرة في العربية: الأستاذ الدكتور أحمد كوتي، رئيس قسم العربية بجامعة كالكوت سابقاً، والدكتور ويران محي الدين، وعمله الرائع " الشعر العربي في كيرالا " مصدر هام للطلبة والباحثين في الموضوع، والشيخ عبد الغفور القاسمي ساهم بكتابه: المسلمون في كيرالا، في التأليف العربي. والدكتور تاج الدين المناني رئيس قسم العربية بجامعة كيرالا رجل نشيط في الكتابة والتأليف وأطروحته للدكتوراه تم إصدارها بعنوان: اللغة العربية في تامل نادو " ، من العراق . أما بالنسبة إلى الشعر العربي فمساهمة علماء كيرالا فيه كثير مثير ، يكاد يضاهي دور الشعراء العرب في الصناعة والإتقان والوصف والخيال. والعقد الأخير يشهد تقدماً ملموساً في مجال ترجمة الطرائف الأدبية من العربية وإليها، قام بها صفوة طيبة من الأساتذة والكتاب، مما يمكننا المساهمة في التبادل الثقافي بين اللغتين والثقافتين.

أبرز الصحف والمجلات العربية في كيرالا

لعبت الصحافة والمجلات العربية دورًا هامًا في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في ولاية كيرالا، وذلك منذ نشأتها في أوائل القرن العشرين. إن طلاب الكليات والجامعات يقرؤونها لترقية مواهبهم وقدراتهم في ميدان اللغة العربية، ويظهر من الملاحظات أن هذه المجلات نتيجة لرسائل قلمية تنشر من الكليات العربية، وقد بزغت الصحافة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي،

فأول مجلة عربية في كيرالا إنها مجلة 'البشرى' صدرت في عام 1963 م، .أسسها المولوي محمد ك . ب . ولكن-للأسف - توقف إصدارها بعد سنة من نشأته (عام 1964) ،

مجلة "الأضواء": صدرت عام 1964، اهتمت بالقضايا الاجتماعية والثقافية والسياسي

مجلة "الهدى": صدرت عام 1967، ركزت على تعليم اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية

صحيفة "المسلم": صدرت عام 1982، وهي أول صحيفة عربية يومية في كيرالا

مجلة "الندوة": صدرت عام 1984، تهتم بالقضايا الفكرية والثقافية

مجلة " الجامعة" صدرت عام 2006م الجامعة الإسلامية بشاندابورام

مجلة "النهضة " التي تصدر عن جمعية الهداية الطلابية في كلية سبيل الهداية بفارافور، مجلة باسم الهادي أيضا تحت إشراف لجنة منشئي العربية لولاية كيرلا صدرت في سنة .1972ومن بين المجلات المشهورة مجلة الثقافة في شهر أكتوبر سنة 1996 ومجلة الريحان في عام 2004 ومجلة الصلاح في عام.2005، ومن المجلات العربية في كيرلا مجلة كاليكوت والتي أصدرها قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت. ومجلة العاصمة من ترفاندرم ومجلة المداد من دار الحسنات بكنادي فارمبا بمقاطعة كنّور. ومجلة العاصمة هذه بدأت في نوفمبر 2009 ذي القعدة 1430 يصدرها قسم العربية كلية الجامعة بجامعة كيرالا ترفاندرم، ورئيس تحريرها الأستاذ زين الدين، وهي مجلة سنوية عربية أدبية بحثية تهتم بنشر الدراسات والبحوث والإسهامات النقدية المتعلقة بالعربية وآدابها المختلفة، وقد أصدر عددها الثاني في ديسمبر 2010 مع مقالات قيمة حول اللغة العربية ونقدها وانتشارها. على كل حال إن هذه المجلات الشهرية والفصلية وغيرها نتيجة لجهود فعالة قام بها محبو اللغة العربية في كيرلا، مجلة "الصباح للبجوث" والتي أصدرها قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، مجلة "الصباح" حصلت على الرقم التسلسلي المعياري الدولي برقم ISSN 2454-7824

العربية الميالمية:

العربية الميالمية، أو كما تُعرف أيضًا باسم "عربي ماليالام" أو "مالايالام عربية"، هي لغة هجينة فريدة نشأت من تفاعل اللغة العربية مع اللغة الميالمية، لغة جنوب الهند الدرافيدية. تُكتب هذه اللغة باستخدام الأبجدية العربية مع بعض التعديلات لتناسب الأصوات المميزة للميالمية. عندما واجه الأمة المسلمة في كيرالا صعوبات كثيرة في تدريس تعاليم الإسلام ومبادئه لأبنائهم. وكان سكان كيرالا حتى المسلمون يتكلمون في اللغة الميبارية. ولكن لم يكن هناك خط للغة ميالم يعرفه العوام للكتابة والقراءة. علاوة على ذلك، وفيها ثمانية وعشرون حرفا من اللغة العربية توجد الحروف المتساوية في اللغة الميالمية لخمسة عشر حرفا فقط. والبقية لا توجد كتابة لها في ميالم. ولذلك اخترع علماء المسلمين خطا خاصا يكتب بالأبجدية العربية ويلفظ في الميبارية التي اشتهرت من بعد ب'عربي ميالم'. استعملت هذه اللغة في الكتاتيب وصارت كلغة رسمية لمسلمي كيرالا للكتابة، وقد دونت عدة مؤلفات دينية في خط عربي ميالم مثل تفسير ماين كوتي إليا،

تدريس اللغة العربية: من المساجد إلى المدارس المدنية

تعود جذور تعليم اللغة العربية في كيرالا إلى المساجد، حيث كان يتم تدريسها تقليديًا من قبل شيوخ الدين. ركزت المناهج الدراسية المبكرة على تعليم القرآن الكريم وفقه اللغة العربية، ونقل المعارف الدينية والثقافية العربية للأجيال

القادمة. تعلم الطلاب المسلمون القرآن واللغة العربية قبل شروع الموضوعات المادية. وبعد قليل، جعل الوزير رام سوامي أيّر(Rama Swami Ayyer) تعليم العربي موضوعا خاصا، وسمى المعلمين بمعلم العربية أو 'عربي منشئ'. وفي منطقة مليبار عينت الحكومة البريطانية معلمي اللغة العربية في المدارس الثانوية. وخلال ذلك منحت الحكومة المساعدات المالية للمعلمين في الكتاتيب القرآنية، واعترفت بتعليم اللغة الميالمية والحساب وما إليها من موضوعات العصرية. وبعد قليل جعلت الحكومة أكثر تلك الكتاتيب مدارس ثقافية عامة. استمرت هذه الحالة بعد الاستقلال حتى أن قامت حكومة حزب الشيوعي سنة 1957 في كيرالا. نفذت هذه الوزارة بعض تبديلات في المجال التربوية. وجعلت تعليم اللغة العربية المادية اللإبتدائية. وشرعت دراستها طول الولاية حتى لو كانت في مدرسة عشرة طلاب اختاروا اللغة العربية فيوظف فيها معلم عربي. تدريجيا صارت اللغة العربية لغة ثانية في مدارس كيرالا.

من المدارس الابتدائية إلى الثانوية العليا:

وفي الحاضر، تدرس اللغة العربية من الصف الأول إلى الصف الثاني عشر في جميع مقاطعات كيرالا. وأكثر من ستة ألاف مدرسة مدنية توفر تسهيلات لتعلم هذه اللغة المباركة. وعدد الدارسين يتجاوز عن خمس عشر مائة آلاف تقريبا، وأكثر من عشرة آلاف مدرس عربي يتمتعون الرواتب الحكومية عبر كيرالا. أما الكتب الدراسية في كل صف من الأول إلى العاشر، تتم إعدادها تحت إشراف مجموعة من المعلمين وخبراء اللغة والتربية. وهناك الأنشطة الأكاديمية مثل محاضرات وندوات ومناقشات حول موضوعات مختلفة تفتح أبوابا لبنية جو لغوي داخل الفصل وخارجها. أما بالنسبة المنهج الدراسي هو متأصل على النظرية البنائية، ميزة هذه النظرية أنه يمكن بناء المعلومات طبيعيا بواسطة الأنشطة الدراسية الفعالة اعتبارا لمعلومات الدارس المكتسبة والأفكار والمعاني المتوفرة لديه.

الكليات العربية:

تُعدّ كيرالا موطنًا لعدد كبير من الكليات التي تُقدم تعليمًا في اللغة العربية والدراسات الإسلامية .وتتراوح هذه الكليات من مؤسسات عريقة لها تاريخ عريق إلى مؤسسات حديثة تُقدم برامج أكاديمية مبتكرة. فأول كلية عربية في أرض كيرالا هي 'كلية دار العلوم العربية' التي تعتبر أم الكليات العربية في ولاية كيرالا وأقدمها في هذا النوع. أسسها أسرة كوياباتودي (family Koyappathodi) قرية وازكاد (Vazhakkad) في مقاطعة ملابرم باسم 'مدرسة تنمية العلوم' في سنة 1871م ، ثم تحولت إلى الكلية العربية وحصلت على تقدير من جامعة مدراس في عام 1943 ، كما تم الاعتراف به كأول كلية شرقية في مليبار. وبعد ذلك بدأت الدورات التمهيدية ل'أفضل العلماء' في هذه المؤسسة. في عام 1978 حصلت على الاعتراف من الجامع كاليكوت، وبدأت دورات أفضل العلماء الأولية والنهائية. وفي عام 1995 حصلت على تقدير لبرنامج ماجستير من جامعة كاليكوت، توجد في كيرالا أكثر من مائة كلية عربية، إحدى عشر منها معترفة من قبل الحكومة يعني تتحمل الحكومة رواتب مدرسيها. ومنهجها أكثر اهتماما للعلوم الدينية، وفيها القرآن الكريم والحديث الشريف والتفسير والفقه واللغة والأدب والعربية التطبيقية. واسم هذا الدور 'أفضل العلماء الإبتدائية'، وهذا يساوي الثانوية العليا، ثم بكالوريوس ثم أفضل العلماء النهائي أي برنامج ماجستير.

نتائج البحث: العصور المبكرة

يعود أقدم دليل على وجود اللغة العربية في كيرالا إلى القرن الثالث الميلادي، مع وجود نقوش عربية على بعض العملات المعدنية

ازدادت أهمية اللغة العربية مع انتشار الإسلام في المنطقة خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين

أصبحت اللغة العربية لغة العلم والثقافة، حيث تم تأسيس العديد من المدارس والجامعات الإسلامية لتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية

ساهم العلماء المسلمون بشكل كبير في تطوير اللغة المالايالامية، لغة كيرالا المحلية، من خلال إدخال العديد من الكلمات العربية إليها

العصور الوسطى

خلال العصور الوسطى، ازدهرت اللغة العربية في كيرالا مع استمرار وصول التجار العرب والعلماء المسلمين

تم تأسيس العديد من المكتبات التي ضمت مخطوطات عربية قيمة في مختلف المجالات

لعبت اللغة العربية دورًا هامًا في الحياة السياسية والاقتصادية لكيرالا، حيث تم استخدامها في الوثائق الرسمية والمراسلات بين الحكام

العصور الحديثة

مع مرور الوقت، بدأت اللغة العربية تفقد بعضًا من أهميتها في كيرالا، وذلك بسبب عوامل مختلفة مثل الاستعمار البريطاني وانتشار اللغة الإنجليزية

على الرغم من ذلك، لا تزال اللغة العربية لغة مهمة في كيرالا، حيث يتحدثها المسلمون في الولاية

هناك العديد من المدارس والمساجد التي يتم فيها تعليم اللغة العربية

كما يتم استخدام اللغة العربية في بعض وسائل الإعلام، مثل الصحف والمجلات والإذاعة

تأثير اللغة العربية على ثقافة كيرالا

تركت اللغة العربية تأثيرًا عميقًا على ثقافة كيرالا، حيث يمكن ملاحظة ذلك في مختلف جوانب الحياة، مثل

اللغة: تم إدخال العديد من الكلمات العربية إلى اللغة المالايالامية

الدين: الإسلام هو ثاني أكبر ديانة في كيرالا، وقد لعبت اللغة العربية دورًا هامًا في نشر الإسلام في الولاية

الفنون: تم استخدام الخط العربي في العديد من الفنون الإسلامية، مثل الخط والزخرفة

المطبخ: تم إدخال العديد من الأطباق العربية إلى المطبخ الكيرالي

مستقبل اللغة العربية في كيرالا

يواجه مستقبل اللغة العربية في كيرالا بعض التحديات، مثل

التأثير المتزايد للغة الإنجليزية: تُستخدم اللغة الإنجليزية على نطاق واسع في التعليم والأعمال التجارية والحكومة

قلة الموارد: هناك نقص في الموارد لتعليم اللغة العربية ونشرها

على الرغم من هذه التحديات، هناك أيضًا بعض العوامل التي قد تساهم في بقاء اللغة العربية في كيرالا، مثل

ازدياد عدد المسلمين: يشهد عدد المسلمين في كيرالا زيادة مستمرة

الاهتمام المتزايد بالثقافة العربية: هناك اهتمام متزايد بالثقافة العربية والإسلامية بين الشباب في كيرالا

خاتمة

نستطيع القول أن اللغة العربية قد حظيت بمكانة مرموقة في تاريخ كيرالا، تاركةً بصماتها على مختلف جوانب الحياة. فقد أثرت على اللغة المحلية، المالايالام، من خلال إدخال العديد من الكلمات العربية، كما ساهمت في ازدهار التجارة والأدب والثقافة، ولعبت اللغة العربية دورًا هامًا في نشر الإسلام في كيرالا، حيث كانت لغة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية. وبرزت العديد من الشخصيات العربية التي ساهمت في نشر اللغة العربية في كيرالا، مثل التجار والعلماء والدعاة، ومع مرور الزمن، واجهت اللغة العربية بعض التحديات، مثل الاستعمار البريطاني الذي حاول نشر اللغة الإنجليزية. لكن اللغة العربية صمدت في وجه هذه التحديات، وظلت لغة مهمة في حياة العديد من المسلمين في كيرالا، واليوم، لا تزال اللغة العربية حية في كيرالا، حيث يتحدث بها الملايين من الناس. وتُستخدم في التعليم والدين والإعلام والأعمال التجارية،وختامًا، إنّ رحلة اللغة العربية في كيرالا رحلة تاريخية غنية بالعطاء والتأثير، وتُعدّ شهادةً حية على العلاقة العميقة بين الحضارة العربية والحضارة الهندية، وكل هذا يدل على أن لغة الضاد كانت ولا تزال تزهو وتزدهر في ماضيها وحاضرها في هذه الولاية الساحلية، وسوف يكون لها شأن بأثرٍ أكثرَ في قادم الأيام بإذن الله تعالى.

1. أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند
2. هذا الكتاب تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين للمؤلف أحمد زين الدين المعبري (1468-1522م) الملیبارى يتحدث عن اقليم شرق الهند المسمي بماليبار المشتهر بتصدير التوابل و العطور للبلاد العربية و منها لاوروبا.و فيه بداية انحسار و ضعف القوي العربية البحرية في ذلك الوقت المتمثلة في البحرية العثمانية و المملوكية.
3. Thottungal Mosque
4. الأستاذ كي وي عبد الرحمن، نبذة من تاريخ مسلمي مليبار، ط. جماعة خدمة المسلمين في فنان 1998م ص. 23،.
5. Valiya Kulangara Mosque
6. تنتمي نسبة أعضاء هذه الأسرة إلى "معبر"، وهو بلدة بجنوب الهند في ولاية "تاملنادو"، وقد اختلفت آراء الباحثين في سببها، حيث قال بعض الباحثين إن أصل هذه الأسرة يرجع إلى "المعبر" في اليمن وكانوا مستوطنين بها،فأما بعض الباحثين ينكرون هذا الرأي وقالوا إنهم ينسبون إلى "المعبر" في ولاية "تاملنادو" حيث يقرون أنهم وصلوا أولا إلى بلدة "المعبر" في جنوب الهند ثم انتقلوا إلى "كوشن" ثم إلى بلدة "فناني" وانتشروا في جنوب الهند مثل "كيلكرى" و"كايل باتنام" وأن البقعة التى استوطنوها كانت تعرف باسم "المعبر" عند العرب والعجم، وكان مليبار أيضا يعد من "المعبر"

المصادر والمراجع:

1. أبو الحسن علي الندوي، ندوة العلماء بلكهناؤ: المجمع العلمي، لكهناؤ، 2006م.
2. أحمد بن محمد، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الجزء الثاني، المكتب الإسلامي، بيروت 2004 م.
3. زبير أحمد الفاروقي، مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي. دار الفاروقي، دلهي، 1990م.
4. زين الدين المخدوم الصغير، تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، مكتبة الهد، كاليكوت، 1998م.
5. د. بهاء الدين محمد جمال الدين الندوي، تعليم اللغة العربية في ولاية كيرالا، الهند، مجلة النهضة، يوليو 2017م.
6. د. ك.ك.ن. كروف، تراث مسلمي مليبار(ترجمة عربية)، معهد مليبار للبحوث والترجمة، كاليكوت، 2011م.

7. عبد الحي الحسني، الثقافة الإسلامية في الهند. المجمع العلمي العربي، دمشق، 1958م.
8. عبد الله الحسين بن احمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2004م.
9. محمد كويا، تاريخ مسلمي كاليكوت (مليالم)، ص. 146، ط. منشورات فوكس كاليكوت 2012م.
10. محمد ضياء الدين الفيضي، خدمات علماء كيرلا لنشر اللغة العربية، مجلة المداد، فبراير 2013م.
11. محمد صدر الحسن الندوي. الإسلام والمسلمون. : معهد الدراسات الإسلامية. أورنك آباد، مهاراشترا، 1999م.
12. محمد إسماعيل الندوي. تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت1985م